Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخي وأخذني إلى المسجد الأحمدي وأراد إكراهي على طلب العلم، فأبيت وقلت له: قد أيقنت أن لا نجاح لي من طلب العلم ولم يبق علي إلا أن أعود إلى بلدي وأشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثرة من أقاربي، وانتهى الجدل بتغلبي عليه، وأخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت إلى محلة نصر على نية ألا أعود إلى طلب العلم، وتزوجت في سنة (١٢٨٢هـ: ١٨٦٥م على هذه النية)[1].

عاد الإمام إلى طلب العلم مكرها مجبرا فقد أجبره أبوه وأخوه على العودة إلى الجامع الأحمدي، ولما كان الإمام يائسا من متابعة الدراسة بهذا المعهد بعد أن قضى به سنة ونصفا لا يفهم شيئاً، فقد هرب في قرية (كنيسة أورين) وهي قرية من قرى شبراخيت غالب سكانها من خئولة أبيه، وهناك اتصل بمعلمه الأول ومفتاح سعادته الشيخ درويش خضر أحد أخوال أبيه، وهو رجل سبقت له أسفار إلى صحراء ليبيا، ووصل إلى طرابلس الغرب وجلس إلى السيد محمد المدني، وتعلم عنده شيئا من العلم وأخذ عنه الطريقة الشاذلية، وكان يحفظ كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه: ثم رجع من أسفاره إلى قريته واشتغل بالزراعة.

كان الشيخ درويش خضر موجها ومربيا ومعلماً وفيه قوة نفسية تؤثر وتجذب، وقد استشف ما في نفسية الفتى الهارب واستطاع أن يكبح جماحه، وأن يحول بغضه للمعرفة والعلم إلى حب شديد وأخذ يبث فيه النزوع إلى المثل الإنسانية، والدينية العليا والتلميذ يتلقى ما يلقى عليه، تلقى الصادى للماء العذب الفرات، وتجاوبت النفسان والتقى القلبان، وقد حكى الإمام لنا هذه الطريقة التربوية فقال:

«جاءني هذا الشيخ وبيده كتاب يحتوي على رسائل كتبها السند محمد المدني إلى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربي دقيق، وسألني أن أقرأ له فيها شيئاً لضعف بصره، فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها، ونفرت منه أشد النفور، ولما وضع الكتاب بين يدي رميته إلى بعيد، لكن الشيخ تبسم وتجلى في ألطف مظاهر الحلم، ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر، فاندفع

(١) تاريخ الأستاذ الإمام ١/ ٢٠.